

رجاءً فرصة أخرى



د. محمود أبو الغزائم
رئيس التحرير

بقلم

مع زوجتي التي أحبها بشدة وأولادي الذين لا أستطيع التخلي عنهم ولكنها ترفض بكل شدة وتقول إنها استخارت الله، ولا أدري لماذا هذا التعنت منها وأهلها يرفضون التدخل لإصلاح المشكلة، أين ذهب الحب والود وعشرة السنين.

- كثرة المشاحنات والإهانات المستمرة تؤدي إلى الشقاق والبغضاء الذي يؤدي إذا استمر مدداً طويلة إلى البغضاء ومحو آثار الحب من القلوب.

كانت هذه عينة من المناقشات التي تدور في العيادات النفسية تلخص مشاكل الأسر التي تتعرض للانحياز وينتهي الأب أو الأم بعد فوات الأوان وتحول المشاحنات إلى جفاء وبغض وكراهية ونفور يؤدي في النهاية للانفصال والطلاق.

للزواج سنة من سنن الله يبني على معنى هام وهو المودة والرحمة وإذا انهارت معه كل أسس الزواج والمودة تعنى المحبة، والرحمة تعنى الشفقة، والحق أن من يتبع الشرع ويرضى بحكم الله لا يمكن بحال أن يتجرّد من عاطفة الحب معاً! فحتى لو انفتحت عاطفة القلب (بمعناها الفاصر بين الناس!) تبقى عاطفة الرحمة أساساً صالحاً لبقاء البيت والعلاقة، مع الصبر والاحتساب، وخشية الله وتقواه في حق كل منهما على الآخر، وحق أولادهما عليهما وهنا تنبه إلى أهمية الاحترام المتبادل بين الزوجين كأساس هام في العلاقات الإنسانية وبالأخص الزوجية.

قال تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) [الروم: ٢١]. فالذي يتأمل هذه الآية يدرك أهمية العطف والرحمة والمودة بين الزوجين، ويدرك أيضاً أن الله وضع لنا طريقاً للنجاح والشفاء والسعادة في حياتنا الزوجية، وهو أن نسلك طريق المودة والرحمة. وطالما بقيت المودة والتعاطف والترحم بين الزوجين كانت الحياة سعيدة وهادئة، وبمجرد غاب هذان «المؤشران» عن المنزل اختلت السعادة وانقلبت الحياة إلى جحيم لا يُطاق.

الأفلام وأسمح لهم بالسهر معي أمام التلفزيون وأحياناً حتى الفجر وكان ذلك سبباً من أسباب الخلاف بيني وبين زوجتي التي كانت ترغب في انتظامهم في النوم وعدم الإفراط في مشاهدة الأفلام.

● هل كانت تبادلك الإساءة بالإساءة؟
- لا هي كانت تحاول كبت انفعالاتها أمام الأبناء حفاظاً على الصورة الأسرية.

● وهل كان هناك تباين في الآراء في تربية الأبناء؟

- زوجتي من النوع الملتزم التي تجعل من الدين كل شيء في حياتها وترفض السهر والأفلام الجريئة وكانت تدخل عليّ وأنا أشاهد بعض الأفلام التي تحوى مشاهد بها علاقات حميمة وتطلب مني غلق التلفزيون مما جعلني أحتد عليها أكثر من مرة أمام الأولاد لأنها كانت تقطع عنا الفيلم في وسطه وكانت في بعض الأحيان تتشاجر معي أمام الأبناء إذا تأخروا وقت الصلاة أثناء مشاهدة الفيلم أو ماتش الكرة وكانت دائماً تتحجج بأن هذا كان شرطاً لها قبل الزواج أن يكون هناك التزام وأنا أرى أن هذا تزمّت وتشدد أكثر من اللازم.

● هل تدخل أحد من حكماء الأسرة لحل مشاكلكم من قبل؟

- نعم تدخل الأهل من طرفي وطرفها عدة مرات ووعدهم وعاهدتهم بأن أحاول إصلاح ذات البين وألا أوجه لها الإهانات أمام الأبناء وكانت الأمور تستقر بعض الوقت ولكن كما شرحت لك يا دكتور أنا عصبى بطبعي ولا أقبل التوجيه وكان يظل بيننا خصام يدوم أحياناً لعدة أيام كل شهر ولكن كانت الأمور تسيير وهي كانت متفرغة لتربية الأبناء.

● هل كانت أمور الأبناء مستقرة؟
- الخلافات المستمرة أدت إلى توتر الأبناء وبدأت أمورهم النفسية والدراسية تختل وبدأوا يتلفظون ببعض الألفاظ غير اللائقة أحياناً وساء مستواهم الدراسي بالرغم من تلقيهم الدروس الخصوصية.

● إذن في نظرك ما هو السبب الذي أدى إلى هذا الانهيار الأسري؟

- يا دكتور والله لا أرى أن المشكلة بهذا الحجم وأنا وعدت بأنني سوف أصلح نفسي وطلبت فرصة أخرى حتى أعيش

● يا دكتور حياتي انهارت بدون أي سبب ولا أدري لماذا؟؟؟

- رجاء تحديد المشكلة حتى أستطيع المساعدة.

- زوجتي وأم أولادي بدون سابق إنذار فاجأتني بطلب الطلاق وتصر عليه بكل شدة ولا تقبل أي حلول وسط ولا تفاهات.

● ألم تكن هناك أي مشاكل سابقة من قبل؟

- كلها كانت مشاكل مثل تلك التي تحدث في كل الأسر وكانت تستغرق بعض الوقت وكنا نتجاوزها بعد فترة من الزمن.

- إذن المشكلة قديمة وليست مفاجئة. المشكلة لا تستدعي الانفصال وهم الأسرة على رؤوسنا جميعاً وتشريد الأولاد.

● هل كان هناك أي بوادر للشقاق من قبل؟ هل كانت هناك خلافات في المفاهيم والآراء والعلاقات بينكما؟ وفي رأيك ما هي المشكلة الرئيسية التي أدت إلى انهيار العلاقات الزوجية بينكما.

- أبداً مجرد اختلاف في الطباع... أحياناً كنت أحتد عليها بالصوت ولكنني أبداً لم أستخدم يدي في تاديبها ولكن مجرد بعض الألفاظ... صحيح أنها كانت تبتكي وتتالم وكنا قد تعاهدنا على عدم استخدام الألفاظ الخادشة للحياء ولكن أحياناً عندما كنت أفقد أعصابي- والكل يفقد أعصابه أحياناً- كنت أسبها بألفاظ غير لائقة وأحياناً قليلة كنت أسب أباه وأمه.

● هل كانت تلك المشاحنات تحدث في السرايم أمام الأولاد والأسرة؟

- الأولاد في سن الطفولة والشباب وأحياناً كنت أثور أمامهم وكانوا في بعض الأحيان ينالون نصيبهم من الثورة والألفاظ وكنت أعاقبهم وألغى الخروج وأمنع عنهم التلفزيون وأحياناً أقسو عليهم بالضرب أثناء ثورة الغضب.

● هل كانت تلك الثورات تحدث كل مدة أم أنها متكررة؟

- ثورات الغضب تحدث مرة أو مرتين في الأسبوع ولكنني كنت أحاول إرضاءهم بعدها بأن أخرج وأحضر لهم بعض المأكولات والعصائر وأحاول التمسرة عنهم بالمشاركة في مشاهدة

تليفون في وسط الليل ظل يرن بإلحاح من إنسان متألم يرجو أن أرى عليه لكي يطلب مقابلة عاجلة عله يجد حلاً لمشكلة ملحة تقلق باله وتؤرق حياته . وبعد تحديد موعد عاجل جاء يحمل هموم الدنيا على رأسه ويتكلم بلغة أقرب إلى البكاء، وبعد أن حاولت أن أسرى عنه بدأ في سرد مشكلته التي يشعر بأنها مصيبة وقعت عليه من السماء دون أن يعلم لها سبباً ولا يرى لها حلاً.